الإمامة والولاية *

السيد عبدالله العلوي

من أهم الفروق بيننا وبين غيرنا قولنا بإمامة أئمة منصوبين من قبل الله عزّ وجلّ وعدم قبول غيرنا بذلك ، بل لعله الفارق الأساسي الذي منه تفرّعت بقية الاختلافات باعتبار أخذنا لأحكامنا عن طريق الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وأخذ الغير لأحكامه من طرق أخرى .

المسألة مفصّلة ومبحوث عنها بتفصيل في كتب ضخمة ، لكنّا نقتصر هنا على شيء موجز نرجو أنْ ينتفع به من أراد الله نفعه .

يقول سبحانه مخاطباً الملائكة : (إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (١) .

ويقول سبحانه مخاطباً داود (عليه السلام) : (يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) (٢) .

ويقول سبحانه مخاطباً إبراهيم (عليه السلام) : (إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً) (٣) .

ويقول سبحانه: (وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا) (٤) .

لاحظ كلمة الجعل المتكررة في الآيات الكريمة ، فإنّها نص في أنّ الخلافة منصب يجعله الله سبحانه لمَن يشاء مِن خلقه ، وأنّ الإمامة منصب يعطيه الله تعالى مَن يراه أهلاً لذلك . فالإمامة والخلافة ليستا مجرّد سيطرة شخص على مقاليد الأمور وجلوسه على الكرسي ثمّ إصدار الأمر والنهي .

إنّهما رتبة مجعولة من الشرع ، وتعني أنّ لصاحب هذه الرتبة ولاية على الناس باعتباره إمامهم ويجب على المأمورين اتّباعه .

لو قال شخص للناس أنا أبوكم ، هل يكون له منصب الأبوّة ورتبتها ، وهل يكون وليّاً كالأب ؟ قطعاً لا ، فالأبوّة واقع حقيقي لا مجرّد ادعاء .

كذلك الإمامة والولاية واقع ، وليستا مجرّد سيطرة شخص ، سواء أكانت سيطرته بالقوّة أو بالانتخاب أو بأيّ شكل آخر .

ومعنى الواقع أنّه حقّاً وليّ بجعل مَن له الجعل وهو الشارع المقدّس ، فيمكنه أنْ يتصرّف في نفوس الناس وأموالهم حسب ما يراه صالحاً ، كل ذلك لأنّه وليّ أمرهم ، أمّا غيره فليس وليّاً ليتصرّف .

يقول سبحانه: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ) (٥) .

الخطاب مع المؤمنين ، وهل يصح أنْ يقول : أيّها المؤمنون إنّ المؤمنين أولياؤكم ؟ ثمّ هذه الولاية المجعولة للذين آمنوا مساوقة لولاية الله ورسوله ؛ لأنّها في نفس السياق ، وأيّ مؤمن له هذه الولاية ؟ لابدّ أنّه فرد مخصوص جاءت الآية معيِّنة لهذا الفرد ، أَلاَ وهو ذلك الشخص الذي أقام صلاته وآتى زكاته وهو راكع ، فمَن هو ؟

لم يُدّعَ هذا الأمر إلاّ لأمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وبذلك نطقت روايات الشيعة والسنّة ، لاحظ تفاسير الفريقين .

قد تجد في التفاسير الأخرى مَن يقول : قيل نزلت في فلان وقيل في فلان ، لكنّه مجرّد قيل ، عارٍ عن الدليل ، فما قيمته ، إنّما القيمة للرواية المسندة المُعَنْعَنَة .

ثمّ أي شخص تُدّعى له الولاية ــ غير أمير المؤمنين ــ فالادّعاء له مرفوض بالإجماع ، إذ لم تقم له إلاّ حكومة وسيطرة إمّا بالقوّة أو بالانتخاب من الناس ، وهذا ليس ولاية شرعية ، أَلاَ ترى أنّه لو انتخب الناسُ شخصاً ليكون وليّ أمورهم فإنّه لا يكون كذلك حقّاً إلاّ بموافقة الشرع له ؟ لذا يمكنهم ويحقّ لهم عزْله ولو كان وليّاً شرعياً لَمَا صحّ لهم ذلك .

روتْ الصحاح حديث المنزلة وهو نصٌ في إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وإليك الحديث :

(...) حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا غندر عن شعبة ، ح وحدّثنا محمّد بن المثنّى وابن بشّار ، قالا : حدّثنا محمّد بن جعفر ، حدّثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم ، سمعت إبراهيم بن سعد عن سعد ، عن النبي (صلّى الله عليه وآله) ، أنّه قال لعلي : (**أَمَا ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى**) . صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة .

٤٤ ــ كتاب فضائل الصحابة : باب ٤ ، حديث ٣٠ ــ ٣١ :

٣٠ ــ (٢٤٠٤) : حدّثنا يحيى بن يحيى التميمي وأبو جعفر ، محمّد بن الصباح وعبيد الله القواريري وسريج بن يونس ، كلّهم عن يوسف بن الماجشون (واللفظ لابن الصباح) ، حدّثنا يوسف ، أبو سلمة الماجشون ، حدثنا محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعلي : (**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنّه لا نبي بعدي**) .

قال سعيد : فأحببت أنْ أُشَافِه بها سَعداً ، فلقيت سعداً ، فحدّثته بما حدّثني عامر ، فقال : أنا سمعته فقلت : أأنت سمعتَه ؟ فوضع إصبعَيْه على أُذْنيه فقال : نعم ، وإلاّ فاستَكّتا .

٣١ ــ (...) : وحدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا غندر عن شعبة ، ح وحدّثنا محمد بن المثنّى وابن بشّار ، قالا : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا شعبة عن الحكم ، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، قال : خلّف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب ، في غزوة تبوك ، فقال : (**يا رسول الله ، تخلّفني في النساء والصبيان ؟**) فقال : (**أَمَا ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ؟ غير أنّه لا نبيّ بعدي**) .

٣٢ ــ (...) : حدّثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عبّاد (وتقاربا في اللفظ) قالا : حدّثنا حاتم (وهو ابن إسماعيل) عن بكير بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال : ما منعك أنْ تسبّ أبا التراب ؟ فقال : أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فلنْ أسبّه ، لإنْ تكون لي واحدة منهنّ أحب إليّ من حُمُر النِعَم . سمعت رسول الله (صلّى

الله عليه وآله) يقول له ، خلّفه في بعض مغازيه ، فقال له علي : (**يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان ؟**) فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : (**أَمَا ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي**) ، وسمعته يقول يوم خيبر : (**لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله**) قال فتطاولنا لها فقال : (**ادعوا لي عليّاً**) ، فأُتِيَ به أرمد ، فبصق في عينه ودفع الرّاية إليه ، ففتح الله عليه ، ولمّا نزلت هذه الآية : (**فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ**) (٦) ، دعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : (**اللّهم هؤلاء أهلي**) .

ولننظر الآن منزلة هارون من موسى في القرآن الكريم :

يقول تعالى عن لسان موسى : (**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**) الخ .

يقول تعالى ردّاً عليه : (**قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى**) (٧) .

إذن جعل الله تعالى هارون وزيراً لموسى ، وشدّ به أزْره ، وأشْركه في أمره ، بالإضافة إلى نبوّته وأُخوّته .

وقد أعطى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بأمر الله عزّ وجلّ ــ لأنّه (**وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى**) ــ أعطى كل هذه المناصب لأمير المؤمنين واستثنى منها النبوّة ، فعلي (عليه السلام) وزير رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأخوه ، وشريكه في أمره ، أُؤكّد على كلمة (وشريكه في أمره) ومعنى الشراكة في الأمر أنّ تبليغ أمر الوحي راجع إليهما ، فهما المبلّغان للدين والوحي ، بمنزلة الشخص الواحد ، وهذا بالضبط ما يعطيه قوله تعالى : (**فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ**) حيث دعا الرسول : (الزهراء والحسنين وأمير المؤمنين) ، فالأبناء : الحسنان ، والنساء ، الزهراء ، والأنفس : أمير المؤمنين ، ولو لم يكن هو المقصود لكان إخراجه معه بلا مبرّر وبلا تطبيق للآية .

روى أحمد بن حنبل بالسند الصحيح في مسنده قوله (صلّى الله عليه وآله) : (**مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه**) ، ومعلوم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مولى كلّ الخلق ، إذن فأمير المؤمنين مولى كلّ الخلق .

والمفهوم من المولى هنا الولاية والأولوية بهم منهم أنفسهم . وهل يحقّ لأحد أنْ يتقدّم على مولاه ، هل يجوز لأحد أنْ يتقدّم على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، طبعاً لا يجوز . فإذن لا يجوز ذلك بالنسبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) .

روى البخاري ومسلم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : يكون اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش وهذا نصّ ما رواياه :

بابٌ :

حدّثني محمّد بن المثنّى حدّثنا غندر حدّثنا شعبة عن عبد الملك سمعتُ جابر بن سمرة قال سمعت النبي (صلّى الله عليه وآله) يقول : (**يكون اثنا عشر أميراً** ، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي إنّه قال : **كلّهم من قريش**) . هذا ما رواه البخاري كتاب الأحكام : ج١ ، ص١٠١ .

أمّا ما رواه مسلم فهو بعدّة أسانيد هي :

٣٣ ــ كتاب الأمارة : باب١ ، حديث (٤ ــ ٦) :

٤ ــ (١٨٢٠) : وحدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدّثنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه ، قال : قال عبد الله : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : (**لا يزال هذا الأمر في قريش ، ما بقي من الناس اثنان**) .

٥ ــ (١٨٢١) : حدّثنا قتيبة بن سعيد ، حدّثنا جرير عن حصين ، عن جابر بن سمرة ، قال : سمعت النبي (صلّى الله عليه وآله) يقول : ح وحدّثنا رفاعة بن الهيثم الواسطي (واللفظ له) حدّثنا خالد (يعني ابن عبد الله الطحّان) عن حصين ، عن جابر بن سمرة ، قال : دخلت مع أبي على النبي (صلّى الله عليه وآله) فسمعته يقول

: (**إنّما هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فهيم اثنا عشر خليفة**) قال : ثم تكلّم بكلام خفي عليّ ، قال فقلتُ لأبي : ما قال ؟ قال : (**كلّهم من قريش**) .

٦ ــ (...) : حدّثنا ابن أبي عمر ، حدّثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير ، عن جبار بن سمرة ، قال : سمعت النبي (صلّى الله عليه وآله) يقول : (**لا يزال أمر الناس ماضياً ما وَلِيَهُم اثنا عشر رجلاً**) ثمّ تكلّم النبي (صلّى الله عليه وآله) بكلمة خَفِيَتْ عليّ ، فسألت أبي : ماذا قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ؟ فقال : (**كلّهم من قريش**) .

٣٣ ــ كتاب الأمارة : باب١ ، حديث (٦ ــ١٠) .

(...) : وحدّثنا قتيبة بن سعيد ، حدّثنا أبو عوانة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة ، عن النبي (صلّى الله عليه وآله) . بهذا الحديث . ولم يذكر (**لا يزال أمر الناس ماضياً**) .

٧ ــ (...) : حدثنا هدّاب بن خالد الأزدي ، حدثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة يقول : سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : (**لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة**) ، ثمّ قال كلمة لم أفهمها ، فقلتُ لأبي : ما قال ؟ فقال : (**كلّهم من قريش**) .

٨ ــ (...) : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا أبو معاوية عن داود ، عن الشعبي ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال النبي (صلّى الله عليه وآله) : (**لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى أثنى عشر خليفة**) . قال : ثمّ تكلّم بشيء لم أفهمه ، فقلتُ لأبي : ما قال ؟ (**كلّهم من قريش**) .

٩ ــ (...) : حدّثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدّثنا يزيد بن زريع حدّثنا ابن عون ، ح وحدّثنا أحمد بن عثمان النوفلي (واللفظ له) حدّثنا أزهر ، حدّثنا ابن عون عن الشعبي ، عن جابر بن سمرة ، قال : انطلقت إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومعي أبي . فسمعته يقول : (**لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة**) ، فقال كلمة صمّنيها (٨) الناس . فقلت لأبي : ما قال ؟ قال : (**كلّهم من قريش**) .

١٠ ــ (١٨٢٢) : حدّثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة . قالا : حدّثنا حاتم (وهو ابن إسماعيل) عن المهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، قال : كتبتُ إلى جابر بن سمرة ، مع غلامي نافع : أنْ أخبرني بشيء سمعتَه من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : فكتب إليّ : سمعتُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، يوم جمعة ، عشيّة رجم الأسلمي ، يقول : **(لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلّهم من قريش)** ، وسمعته يقول: **(عُصَيْبَة (٩) من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض)** .

وهذا الحديث المعتبر السند نص في إمامة اثني عشر شخصاً بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فمَن هم ؟ وهل ذُكرت أسماء معيّنة بهذا الصدد لأشخاص ؟ نعم ، ذُكرت الأسماء المباركة للائمّة الاثني عشر وهم :

١ ــ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

٢ ــ الحسن بن علي .

٣ ــ الحسين بن علي .

٤ ــ علي بن الحسين .

٥ ــ محمّد بن علي .

٦ ــ جعفر بن محمّد .

٧ ــ موسى بن جعفر .

٨ ــ علي بن موسى .

٩ ــ محمّد بن علي .

١٠ ــ علي بن محمّد .

١١ ــ الحسن بن علي .

١٢ الحجّة المهدي المنتظر بن الحسن . عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

هؤلاء هم الأئمّة الذين اعتقدنا بهم وبإمامتهم ولم يدّعِ أحد إمامة شرعيّة منصوصة من قِبل الله عزّ وجلّ ــ لغيرهم ، فتعيّنت فيهم (عليهم السلام) . روتْ كتب الصحاح عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قوله : **(إنّي مُخلّف فيكم الثَقْلَين ، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي)** . لاحظ أنّه (صلّى الله عليه وآله) جعل أهل بيته عِدلاً للكتاب ، ولم يجعل غيرهم . يكفي هذا والتفصيل في الكتب المطوّلة .

---

* اقتباس من كتاب : (بعض المسائل الخلافيّة المعروفة) للسيّد عبد الله العلوي .

١ ـ سورة البقرة : الآية : ٣٠ .

٢ ـ سورة ص : الآية : ٢٦ .

٣ ـ سورة البقرة : الآية : ١٢٤ .

٤ ـ سورة السجدة : الآية : ٢٤ .

٥ ـ سورة المائدة : الآية : ٥٥ .

٦ ـ سورة النساء : الآية : ٦١ .

٧ ـ سورة طه : الآية : ٣٦ .

٨ ــ صمّنيها : أي أصمّوني عنها فلم أسمْعها لكثرة الكلام . قال في المصباح : لا يستعمل الثلاثي متعدّياً . ونقل ابن الأثير ، في النهاية ، الحديث هكذا : أصمّنيها الناس أي شغلوني عن سماعها ، فكأنّهم جعلوني أصم .

٩ ـ عصيبة : تصغير عصبة ، وهي الجماعة ، أي جماعة قليلة من المسلمين .